لابد لهذا من اسباب خفية

للخطيب الشيخ سليمان الأنباري

قال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم] .

يجد ربنا أن نستعرض خصائص هذه الآية الكريمة وما تحويه من المجاز ، وما تشير اليه من سمو في شرف الغاية ، وتأنيب لذوي الأهواء المشتتة ، وتقريع لذوي النفوس المضطربة وتفهيم لكل ساذج لايعلم عن أسرار الدين انه خالد رغم العواصف والتيارات ، ورغم التموجات والتغييرات التي تطرأ على النفوس من طريق اللادينية . وهنا نشير اولا الى القراءة .

قوله تعالى [من يرتد منكم عن دينه] قرأ ابو جعفر ونافع وابن عامر ، وهم من القراء السبعة (يرتدد) بدالين ، وقرأ الباقون بدال واحدة مشددة ، فهاتان القراءتان نطق بأحدهما بنو تميم ، والأخرى اهل الحجاز .

وقوله تعالى (اذلة على المؤمنين) لايخفى مافي الحركة من تغيير في المعنى ، فقد ذكر علماء اللغة ، الذل بكسر الذال ضد الصعوبة وهو اللين ، وبضمها ضد العز وهو الذل ، ويقال : ذاول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من قوم اذلاء ، فالأول من اللين والانقياد والثاني من الهوان والاستخفاف ، وقوله « اعزة على الكافرين » فقد نص علماء اللغة ، ان العزة هي الشدة ، يقال عززت فلاناً على امره اي غلبته عليه ، والعزاز الأرض الصلبة ، وعزّ يعزّ : الشيء اذا لم يقدر عليه .

علمت ايها القارئ الكريم : ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة من الفن الأدبي واللغوي مع اقتضاب راعينا فيه جانب رغبتك ؛ والآن نحاول ومن الله نستمد العون ان نكشف لك عما تقصده هذه الآية من المثل العليا ، والغاية التي من اجلها يطمح البشر لأن يخلد في الحياة .

إعلم إن الدين كما اشرت اليه في كثير مما كتبت وحاضرت انه النظام الذي يسير بالناس الى حيث يهوى العقل والمنطق ، والى حيث يقرره التفكير الحر ، فقد عالج كل ناحية من نواحي الحياة علاجا اعتقد انه شاف وكاف لمن تدبره ودرسه وحققه واختبره ففيه كل شيء يعوز الانسان معرفته ، وفيه كل امر يضطر الانسان الى صنعه ، فقد وجهه لئلا تبقى للناس على الله الحجة ، ففيه اوضح ناحية الصحة التي هي فوق كل شيء ، وفيه عالج الحقوق الشخصية والاجتماعية ، والأحوال العامة ، وفيه بين بوضوح موقفك من المحتكر والمعدو ، والظالم والغاصب ، والحاكم والرعية ، كما افهمك صفات العطف بالضعيف ، والرفق باليتيم ، والعناية بالمرأة ، والحرص على الوطن ، والدفاع عن كرامة العقيدة ، والذود عن حياض القومية العربية ، وافهمك موقفك من باقي الشعوب لتكون على استعداد وراي . اضف الى ذلك ما اودعه فيك من قوة الامتثال المشفوع بالراي والاختيار ؛ فقل ان تجد مبدءاً من المبادئ العالمية ، ودينا من الأديان السماوية ، وسع نطاق ادارته ، وعزز افق تشريعه بسعة كما جاء به الدين الاسلامي الحنيف من قواعد واسس ومواد كفلت حياة الانسان ، كاملة غير ناقصة ، وهذه شهادات الأغيار الأجانب حول هذا الدين تنطق بالحق ، وتفوه بالصدق بمختلف الاساليب ، وبشتى العبارات معربة عن سمو نظمه وعلو اسسه ، وتفوق مشرعه العقلي على سائر ارباب الشرايع .

وبامكاني ان اعلن بكل قوة اني مستعد ان اتقبل اي خصومة نحو هذا الدين من اي انسان خفيت عليه اسراره فاجيب عنها بما يشتهيه من حل ، وما يرتضيه من جواب ، ولو افرغ جانباً من وقته ، واقتنى احد الكتب الخاوية لبعض نواحيه لاغنانا عن اي سؤال .

فدين كهذا في سعته ، وتشريع كهذا في مرونته ، اوجده المشرع وضحى من اجله انفس مالديه ، لابد ان يوجد